

## البعد البشري للتنمية

■ تعكس مسيرة التنمية البشرية المراحل المختلفة لنظريات التنمية بصفة عامة ونظريات النمو الاقتصادي بصفة خاصة، وتم استخدام العديد من التعبيرات الدولية لمفهوم التنمية البشرية، حيث استخدم في البداية تعبير "تنمية العنصر البشري" أو "تنمية رأس المال البشري" أو "تنمية الموارد البشرية" أو "التنمية الاجتماعية". ثم جاء استخدام مفهوم التنمية البشرية وكما حدده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP عبر تقاريره التي برزت مع بداية التسعينات من خلال تقارير التنمية البشرية والتي تنهي بالتدليل على أن التنمية بمفهومها الحديث قد تجاوزت مفهوم النمو الاقتصادي أو التنمية الاقتصادية وبدأ يُعرف باسم التنمية البشرية

.Human Development

■ المفهوم الأخير يعيد ربط العلاقة بين البشر والتنمية ليس فقط لأن البشر عنصر من عناصر التنمية (مفهوم الموارد البشرية) بل أيضا وقبل كل شيء باعتبار البشر غاية التنمية، وما زال النقاش يدور حول البعد البشري للتنمية. والذي بدأ في منتصف الستينات في محاولة لتوسيع عملية التنمية الشاملة Comprehensive Development حتى ظهر مفهوم التنمية البشرية المتداول حاليا والذي يغطي الأبعاد المتعددة لعملية التنمية. ومن المفيد تسليط الضوء هنا على الأوجه المتعددة لهذا المفهوم وذلك من واقع منظوره الإنساني الواسع وارتباطه بالإطار العام للتنمية الشاملة.



# 1- التنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي

■ تجمع أدبيات التنمية على أن التنمية هي عملية ديناميكية مستمرة تؤديها الجهود الإنسانية بغية الارتقاء بالوجود الإنساني ماديا وحضاريا، كذلك تنطلق من فلسفة تجسد رؤية كل مجتمع يقوم بها، فتبرز خصوصياته، وإسهاماته بمجهوداته وبموارده النادرة تجاه تحقيق غاياته.

■ وعندما بدأت بلدان العالم الثالث تجارها الإنمائية منذ مطلع النصف الثاني من القرن الماضي وحتى الآن قد استند معظمها إلى التفسيرات المادية والتي تعني أن النمو الاقتصادي والاجتماعي والذي يتوقف على الاستثمارات المادية، وهذه حقيقة جزئية تؤدي على زيادة الدخل ومستويات المعيشة ومع ذلك لم تحظ عملية بناء الإنسان بالمجهود والاهتمامات باعتباره جوهرًا للعملية التنموية، لذا فقد اصطبغت المؤشرات التنموية خلال العقود السابقة بطابع كمي يخلو من المؤشرات النوعية التي تؤكد الارتقاء بنوعية الحياة الإنسانية والمبرر النظري لهذه التضحية فهو أن النمو الاقتصادي بما يخلقه من زيادة في فرص العمل والإنتاج والإنتاجية سوف يعود بالفائدة على عموم السكان.



■ إن النظريات التقليدية للتنمية هي اليوم موضع نقد بعد مراجعة و تقييم المسيرة التنمىة فى دول العالم الثالث خلال حقبة الثمانينات وهو مما أدى إلى ظهور تفسيرات أخرى لعملية التنمية البشرية.

## 2- التنمية البشرية وإشباع الحاجات الأساسية

- طرح مفهوم إشباع الحاجات الأساسية كمحور للتنمية البشرية من قبل العديد من المفكرين والمنظمات الدولية المعنية بالتنمية في دول العالم الثالث كمنظمة العمل الدولية ILO والبنك الدولي World Bank .
- واستنادا إلى هذا المفهوم فإن عملية التنمية البشرية تتوجه بالأساس إلى إشباع الحاجات الأساسية للسكان متضمنة الحاجات المادية كالغذاء والملبس والسكن الصحي وخدمات التعليم والثقافة والحاجات المعنوية كحرية التعبير والاعتقاد والممارسة الديمقراطية والحق في فرص العمل .

■ وبغض النظر عن تلك النجاحات التي حققها عدد محدود من دول العالم الثالث لإشباع الحاجات الأساسية فقد أخفقت الغالبية العظمى منها في توفير المستوى اللائق من هذه الحاجات ويمكن ملاحظة دلائل ذلك الإخفاق استنادا لما ورد في تقارير التنمية البشرية الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وتقارير البنك الدولي عن التنمية في العالم خلال النصف الأول من عقد التسعينات والتي تمثل مؤشراتنا في:

- أن بلدان العالم الثالث أصبحت تضم نحو أكثر من (1500) مليوناً من البشر يعيشون تحت خط الفقر أي دون إشباع أدنى الحاجات الإنسانية.

- أن هذه البلدان في سعيها لإشباع الحاجات الأساسية لشعبها قد وقعت فريسة للديون الخارجية التي أصبحت آية لاستنزاف الفوائض التنموية لصالح البلدان الصناعية والجهات الدائنة.



- أن البلدان النامية كان عليها أن تلجأ لاستيراد التقنيات من البلدان الصناعية لتفعيل عمليات الإنتاج وتحقيق معدلات النمو الاقتصادي المستهدفة في خططها التنموية غير أن ما يسرته لها السوق العالمية قد تجسد في تقنيات ملوثة للبيئة فضلاً عن كونها باهظة الثمن الأمر الذي انعكس في ارتفاع تكاليف الإنتاج وعدم القدرة على زيادة الطاقات الإنتاجية وفرص العمل وتخلف القدرات التكنولوجية.
- انفجار ظواهر اجتماعية واقتصادية سلبية.

- ظهور مؤشرات سلبية مثل انخفاض الإنفاق على التعليم وانخفاض نسبة القوى العاملة وانخفاض الإنفاق على الرعاية الصحية وفرص العمل.

في ظل هذه الأوضاع المتردية لعشرات الملايين من البشر في العالم الثالث بدأ طرح مفهوم جديد للتنمية من قبل المنظمات الدولية المتخصصة وهو مفهوم التنمية البشرية.

### 3- التنمية البشرية توسيع للخيارات

■ يقوم هذا المفهوم على أن "البشر هم الثروة الحقيقية للأمم" وأن التنمية البشرية هي "عملية توسيع خيارات البشر". والواقع أن الخيارات Choices تعبير عن مفهوم أرقى يعود إلى الاقتصادي أمارتياس ألا وهو الأحمقيات Entitlement ويعبر عن حق البشر الجوهري في هذه الخيارات.

■ وثمة ثلاثة خيارات تبقى جوهرية في كل مستويات التنمية وهي أن يعيش المرء حياة طويلة وصحية وأن يحصل على المعارف، كذلك أن يحصل على الموارد الضرورية لتوفي مستوى معيشي لائق Decent. ولكن التنمية البشرية لا تقف عند هذا الحد فهناك خيارات أخرى ويقدرها كثير من الناس تقديرا عاليا وهي تمتد وتتراوح بين الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى توافر فرص الخلق والإبداع والتمتع باحترام الذات وضمان حقوق الإنسان.

وكما هو واضح فإن للتنمية البشرية جانبين أحدهما هو:

✓ تكوين القدرات البشرية نتيجة تحسن الصحة والمعرفة والمهارة.

✓ استخدام الناس للقدرات التي اكتسبوها في الأغراض الإنتاجية أو

أغراض ممارسة النشاط الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي.

■ وإذا لم تحقق مقاييس التنمية البشرية توازنا دقيقا بين هذين الجانبين فقد

يؤدي ذلك لقدر كبير من الإحباط البشري.

## 4- التنمية المستدامة

■ لقد حدد تعريف التنمية البشرية السابقة أبعادا أساسية ثلاثة تتفاعل لتحقيق هذا المسار التنموي وهي أبعاد اجتماعية واقتصادية وبيئية تهدف إلى الارتقاء المستمر بالمستوى المادي والحضاري للمجتمعات بأبعاده الشاملة. وفي سبيل معالجة أوجه القصور في هذا المفهوم التنموي فقد تم ابتكار مفهوم جديد للتنمية وهو المفهوم الحالي: التنمية المستدامة.

■ والتنمية البشرية المستدامة هي تنمية لا تكفي بتوليد النمو وحسب، بل توزع عائداته بشكل عادل أيضا، وهي تجدد البيئة ولا تدمرها، وتمكن الناس بدلا من تهميشهم، وتوسع خياراتهم وفرصهم وتؤهلهم للمشاركة في القرارات التي تؤثر على حياتهم. وهي تشدد على النمو الذي يولد فرص عمل منتجة، والذي يحافظ على البيئة، وهي تنمية تفعل قدرات الناس وتحقق العدالة فيما بينهم، من خلال بناء الرأسمال الفكري والاجتماعي، بحيث تتم تلبية احتياجات الأجيال الحالية بأكبر قدر ممكن من الإنصاف، دون المساس بحقوق الأجيال القادمة.

■ **فالتنمية البشرية إذا، ليست مجرد تنمية موارد بشرية، وإنما هي توجه إنساني للتنمية.** وهذا المفهوم، وما يرتبط به من مقاربات ومناهج تحليل وأساليب عمل، هو بمثابة "نمط نموذجي" ذي طابع شامل ومركب، لا يمكن النظر على مكوناته بشكل مجزأ، فالتنمية البشرية المستدامة معنية بالوسائل كما بالغايات، وتطرق للنتائج كما إلى الأسباب، وتتناول الظواهرات كما البنى المولدة لها. إن ما يميز مقاربتها ومنهجية تصديها للمشاكل هو بالضبط تجاوز النظرة القطاعية وتقديم تحليل مندمج، واستراتيجيات عمل متكاملة. هذا النمط النموذجي يجمع بين رؤية واضحة وتصور مستقبلي ذي أبعاد فلسفية إنسانية، وبين خطط وبرامج عملية تصدى للمشاكل والاحتياجات ضمن منهجية شمولية ومندمجة بعيدة المدى، ويعتمد على المشاركة القاعدية التي تنطلق من إرادة الناس وقناعاتهم ومشاركتهم في صناعة حاضرهم ومستقبلهم بخيارهم الحر. فالتنمية البشرية لا تكون مستدامة إلا بمقدار ما هي نابعة من خيارات الناس، وتحترم التنوع والتعددية وتحقيق العدالة.



وبذلك تطرح التنمية البشرية المستدامة تعديلات أساسية وفق أربعة محاور هي:

- **الإنتاجية:** حيث يجب تمكين الناس من زيادة إنتاجيتهم واعتبار الإنسان هو المحور الأساس في علاقته مع الأرض والآلة والمجتمع والبيئة بهدف تمكينه من تطوير حياته وإغناء قيمته الإنسانية، أي مواجهة كل أسباب التبعية والاستقلال في العلاقات وأساليبها .

- **التمكين:** حيث يجب أن تكون التنمية من صنع الناس وليست من أجلهم فقط، لذا فإن إدراج المسار الديمقراطي والمشاركة في اتخاذ القرارات فيما يختص بتخطيط المشروعات والنشاطات التي تحقق التنمية والرفاه تمثل أساسا للتنمية في ظل وجود حكم صالح ذي إرادة عامة فاعلة وتوسيع لامركزية السلطة، مع وجود تشريع يضمن حقوق الإنسان ويضمن الحريات العامة، وتمكين الناس من المشاركة الفعالة في التخطيط والتنفيذ.

• **الإنصاف:** حيث يجب اعتماد العدالة والإنصاف في السياسات والاستراتيجيات أي توفير الفرص المتكافئة للجميع، وذلك بإيجاد توازن اقتصادي بين القطاعات وبين المناطق والفئات، بالتركيز على الاستثمار في التعليم والصحة، بما يكفل الأمان الاجتماعي للجميع، واعتماد سياسات العمالة المنتجة، مع إعادة توزيع الدخل من خلال سياسات ضريبية تسهم في تخفيف الهوة بين الفقراء والأغنياء.

■ **الاستمرارية:** حيث يجب التعامل مع البيئة كمصدر أساسي للحياة والرفاهية والاستدامة على اعتبار أن الإنسان والمجتمع والطبيعة يخضعون لتوازنات متحركة، وكل خلل يصيب هذه التوازنات يؤدي إلى إحداث الضرر بالإنسان وبالطبيعة وبالمجتمع لدرجة تهدد استمرارية ونوعية الحياة للأجيال الآتية ومن ثم ينبغي تجديد جميع أشكال الفرص الرأسمالية المادية والبشرية والبيئية.

■ أن مفهوم التنمية المستدامة يقوم على أساس أن عملية التنمية هي تلك الجهود التي تلبى احتياجات الجيل الحالي دون التهاون في متطلبات الأجيال القادمة وأن هذه الجهود تضافرت في ثلاثة أبعاد أساسية هي البعد الاجتماعي والبعد البيئي والبعد الاقتصادي. وقد نجحت المنظمات الدولية في تحديد إطار هذا المفهوم.

# العلاقة بين التنمية البشرية وتنمية الموارد البشرية

■ إن أساس فكرة تنمية الموارد البشرية هو محصلة التطور في نظرية وتجربة التنمية الاقتصادية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ولقد كانت أول مهمة إنمائية في تلك الفترة هي تعميم أوروبا والذي كان ثمرة لتعاون إيجابي للاقتصاديين، كما كان تسارع بلدان العالم الثالث ونيل استقلالها ومباشرتها لمسيرتها التنموية جانبا آخر في تطوير هذا المفهوم والذي يتمحور حلو تنمية "المهارات والقدرات والاتجاهات" البشرية اللازمة لتعزيز النمو الاقتصادي وإنتاجية العمل والكفاءة، التي تحقق المزيد من الرفاه الاجتماعي، مع أن المفهوم في بعض الاتجاهات يفسر على أنه التدابير التي تؤدي إلى تنمية كفاءة العاملين في مؤسسات العمل الحكومية والخاصة وغير ذلك من الهياكل التنظيمية.

■ يتضح أن تنمية الموارد البشرية فكرة واسعة تجمع بين اختصاصات متعددة وتتضمن جوانب تتصل بالأسرة والمؤسسة التعليمية ومكان العمل والمجتمع بالقدر الذي يؤثر به على تنمية الفرد ورفاهيته أي إضفاء الطابع الإنساني على التنمية، ولكنها غير كافية للوصول إلى مستوى التنمية البشرية إذ يبقى تخصيص الموارد قائماً على القدرة الاقتصادية البحتة لهؤلاء الأفراد متجاهلة عنصر الحاجة ومهملة بذلك فئات معينة من المجتمع، خاصة الفئات الضعيفة، فالتنمية البشرية إذا ليست مجرد تنمية "موارد بشرية" وإنما هي توجه إنساني للتنمية الشاملة، ويمكن النظر إلى المفهوم من جانبين:



✓ تعزيز القدرات البشرية من خلال تحسين الصحة والتعليم وتطوير المعرفة والمهارات والتدريب.

✓ استخدام البشر لهذه القدرات في الاستمتاع، والإنتاج، والمساهمة الفاعلة في النشاطات الثقافية والاجتماعية والسياسية.



■ وهذان الجانبان يحرصان التنمية البشرية وحدها، لذا فإن مفهوم التنمية البشرية في ضوء ذلك يتسع ليشمل اعتبارات جديدة فيما يخص الأهداف التي تسعى إليها التنمية من ناحية، وفيما يخص الوسائل التي ينبغي اعتمادها في عملية إنجاز هذه التنمية من ناحية أخرى، واستنادا إلى أن التنمية البشرية هي الغاية المرجوة لجهود التنمية وأن الإنسان هو الهدف والوسيلة معا، وفي إطار هذا الفهم فإن تأكيد ذلك يقترن بتحقيق مجموعة من الأهداف المرتبطة بتنمية الموارد للمجتمع أهمها:

- تحقيق الاعتماد على النفس لدى الفرد والمجتمع وتأكيد تحقيق القدرة الذاتية على النمو والتطوير والاستمرارية.
- تأكيد عزم الإرادة الفردية والجماعية على تحقيق نوعية أفضل من الحياة من خلال التطور الاقتصادي والحضاري.
- بناء تنمية بشرية ذات بنية سليمة من أجل النمو وتأكيد الخصوصية.

■ وتنصرف هذه الأهداف على الاستفادة أولاً من قدرات وإمكانيات الموارد البشرية للمجتمع وتأهيلها وحتى استغلالها لبناء الطاقات الإنتاجية الكفيلة باستمرار هذا التطور شريطة أن يكون التطور المادي والحضاري مقترنا بخصوصية المجتمع.

■ من المعلوم أنه لا يمكن للتنمية البشرية أن تتأصل في كيان المجتمع وأن تعمل بصورة دائمة وتحقق نتائجها المستهدفة في بناء تنمية بشرية ذاتية وتلبية احتياجات مجتمعاتها من الموارد البشرية وتلبية متطلبات التنمية المختلفة دون العمل على تحقيق مفهوم الاستثمار البشري لأفراد المجتمع من خلال الجوانب التالية:

- التعبئة المثلى لأفراد وقوة العمل في المجتمع من خلال إتاحة فرص العمل المناسبة.
- توفير الأدوات الرئيسة التي تساهم في تحقيق الاستفادة المثلى من قوة العمل في المجتمع من خلال إتاحة فرص التعليم والتدريب والتنمية.
- تأكيد مبدأ العمل الجماعي المشترك لفئات المجتمع.



■ حيث تشكل هذه العناصر الثلاثة جوهر ومفهوم الاستثمار الأمثل للموارد البشرية وذلك من خلال ما يبذل من تنمية قدرات أفراد المجتمع وإمكانياتهم واستعداداتهم العقلية والجسمية إلى أقصى حد ممكن لإحداث التقدم الاقتصادي والاجتماعي.



■ العلاقة بين مفهوم التنمية البشرية وتنمية الموارد البشرية تدرج تحت علاقة الجزء بالكل حيث أن التنمية البشرية مفهوم إنساني واسع بينما تعتبر الموارد البشرية بمثابة مفهوم يخدم الجانب الاقتصادي.

■ أما فيما يتعلق بمجالات تنمية الموارد البشرية فإنها تمارس الأنشطة  
الثلاثة التالية:

✓ التدريب: والذي يعبر عن التعليم الذي يركز على العمل الحالي  
للمتعلم.

✓ التعلم: والذي يركز على العمل المستقبلي للمتعلم.

✓ التنمية: وهي لا تركز على العمل.